

مهرجان الفيلم الفلسطيني في لندن في عامه الثاني: فيلم الافتتاح عن قتلة يفاخرون بأفعالهم ضد فلسطيني صبرا وشاتيلا.. «جنين.. جنين» يمنح الأمل و«انس بغداد» يفتح ذاكرة اليهود العراقيين

ابراهيم درويش*



لقطة من فيلم «ماساكر»



وامكانية حقيقية لتواصل هذا المهرجان الذي يمنح الفلسطيني الحديث بالصوت والصورة عن معاناته سواء كان من خلال مخرجين فلسطينيين أو عرب واجانب. فكرة ان اسرائيل فقدت مصداقيتها الاخلاقية - تظهر في عبارة تحدث بها الكاتب اليهودي العراقي سمير نقاش عندما قال «هذه دولة اطلقت الخسائر، ظلمتني وظلمت اهلي» وجاءت في فيلم «انس بغداد» (2002) اخرجته

العراقي «سمير» الذي يعيش في سويسرا، رحلة في حيوات اربعة عراقيين يهود هاجروا من بغداد بعد انتشاء دولة اسرائيل، عن ذكرياتهم عن بغداد القديمة وعلاقتهم باسرائيل، صدمة الخروج من العراق وصدمة الواقع الجديد والتألف، والتكيف، واستمرار القلق، والشخصيات الاربعة ليست عادية بمعنى انها مثقفة فهم ناشطون سابقون في الحزب الشيوعي العراقي ومعرفة بهم جاءت من خلال والده الشيوعي وبالفريق العراقي الجديد «شبيعي» من الجنوب، وهؤلاء سمير نقاش، سامي ميخائيل، وشعمون بلاص، الثلاثة اكايميون وكتاب وقاصون لهم نتاجهم المعروف والآخر موسى حوري، تحول لناشط محلي وهو الوحيد الذي لا يطرح اسئلة كثيرة عن وضعه الجديد حيث يقول انه في العراق كانت قوميته العراقية والان اليهودية، ويبدو مفتحا ومشرحا نوعا فيما يتعلق بحياته في رماث غان، اما الثلاثة الآخرون فدرجة القلق تتراوح وتبدو اعقد في حالة سمير نقاش الذي يرى ان ظلما حل عليه ولهذا حاول الهرب من اسرائيل في عمر السابعة عشرة، وعاش في ايران والهند، وتركيا، وعاد الى رماث غان، اما بلاص فهو يقول لو كان له الامر لما جاء لاسرائيل وليسافر الى فرنسا، وبالنسبة لميخائيل فهو يقول انه يحمل ثقافتين عربية ويهودية تتعايشان مثل البقلاوة لا السياسة، لا زال يحن لايام بغداد وواصل عمله اليساري عندما دعاه اميل حبيبي للعمل في تحرير جريدة الاتحاد التي كانت تصل الى العراق قبل هجرتهم لاسرائيل، هناك شخصية خامسة، اكتشفت عراقيتها في نيويورك هي

من مكان لمكان لتنظيف الخميم من الفلسطينيين. يظل الفيلم جريئا بكل المعاني، ليس لشجاعة القتل ولكن للتفاصيل التي يقدمها عن دوافع القتل ومن ارسلهم للمخيم وعن آثار الحرب الاهلية اللبنانية، ولكن لا نفترض ان كل من ولد في الحرب الاهلية تحول لقاتل محترف بارد لا تعني الحياة الانسانية له اي شيء. الرجال هنا في شهاداتهم متعاطفون للقتل، يمارسون القتل غواية وهو اية، متهورون، وليس غريبا ان يمنحهم قادة الميليشيات الفرصة لاجتياح المخيم بعد اربعة ايام من اغتيال بشير الجميل 14 ايلول (سبتمبر) 1982 والجريمة حدثت 16 ايلول (سبتمبر) 1982، ولكن قبل ذلك تعرض هؤلاء القتل لعملية غسل دماغ واسعة اصبح فيها الفلسطينيون بهائم ولهذا السبب يردد احدهم ويعربية مكسورة مقولة المثني في كافور الاخشيدي ويعممها على الفلسطينيين «لا تشتر الفلسطينيون الا العصا معه.....» عندما يتم احتجاز الفلسطيني يسهل قتله وهذا ما حدث. يعترف القتل ان احدا في المخيم الذي قيل لهم انه مسؤول عن مقتل الجميل، لم يتعرض لهم بالمقاومة 38 ساعة من القتل والاعتصاب، والسرق، والتشويه، كانت الساحة التي افرغ فيها «الشباب» زعلهم على الفلسطينيين، جاء بعدهم فريق التنظيف الذي استخدم اكياس بلاستيكية اسرائيلية ليمحو الآثار.. لا أحد يعرف كم قتل من الفلسطينيين في تلك الليلية الطويلة، الصليب الاحمر يقول ان اكثر من 2400 فلسطيني قتلوا، ولكن هناك اعداد اخذت للمدينة الرياضية ولم يسمع بهم احد.

ما يحمله المشاهد هو ان الفلسطيني يدفع ثمن اخطاء الآخرين، يقتل ويقتل ويتعرض للمجازر لانه فلسطيني، هذا الحس موجود في فيلم «جنين جنين» (2002) شهادة محمد بكري عن مجزرة مخيم جنين في نيسان (ابريل) 2002، ومع قتلته المشاهدة ان الفلسطيني تعلم انه يقف وحيدا امام الطغيان الاسرائيلي وفيه تأكيد على الانتصار الابد للفلسطينية، بين الردم والبيوت المهتمة والارواح المكسورة هناك روح حقيقية من التحدي ان الفلسطيني في ارضه الخالية الا من الاشلاء حقق انتصاره على الاسرائيلي. وكشف زيفه وزيف استعلائه الاخلاقي. احد الفلسطينيين يعلق تعليقا جميلا على تصرفات الجنود الاسرائيليين عندما قال في بيته اربع حمامات ولكن الجنود اختاروا انية الطعام لافراغ برازهم! هناك ارادة في فيلم جنين، ارادة تقول ان الفلسطيني سيبقي في ارضه حتى يوم القيامة، وان اسرائيل خسرت حتى الجنود ظنوا ان هناك امكانية للتعايش معها، فيلم بكري رغم فداحة الخسارة فيه رسالة امل عن الانتصار والارادة وعن الدولة التي لا تعرف حلا للمشاكل الا بالقتل والجدران.

مهرجان الفيلم الفلسطيني في عامه الثاني يطعم لان يكون مناسبة سنوية في المشهد الثقافي والفن في لندن، ويقدم هذا العام 32 فيلما، تتنوع بين الطول والقصر والروائية والتسجيلية او الوثائقية، وهي افلام ساهم باخراجها فلسطينيون عرب واجانب، بعضها انتج في الاعوام الماضية وبعضها جديد، وكما اشارت اهداف سوف فالفيلم في وثائقيته وروايته قادر على حكاية ما يجري على الارض في فلسطين والعراق، فالافلام والحكايات وان زادت الا ان الاوضاع في العراق وفلسطين تسوء وساءت كثيرا، ولكن الفيلم وسيط مهم لتوثيق الحقيقة، حقيقة ما يحدث في هذين البلدين. وقدرة منظمي المهرجان على جمع اطراف عدد من المخرجين ودعوة عدد منهم لحضور فعاليات المهرجان تشير الى توسع

الحرب الطائفية وحرب الفصائل والمليشيات والجو العام من الفرز على الهوية والدين، ومن التشكيكية الثقافية الحزبية التي شكلت عقلية هؤلاء الشباب، ولكن السؤال الملح ان ايا منهم، على الاقل هناك واحد وان كان ضحية لهذا الجو في شبابه الا انه لا يظهر ايا من الندم او حتى الاعتراف بالخطا وبان الذين قتلهم ايريا، فهم يواصلون الحديث عن الماضي الجيد، عن الحب والتماهي بينهم وبين قائدهم بشير الجميل، وانهم مقاتلون حرفيون، لا يهمهم البرودة الاعصاب، قتل واحد قد يكون عملا مواترا للاعصاب ولكن قتل الثاني والثالث.. لا معنى له، في ساحة «العركة» يجب على المقاتل ان يكون مسيطرا على الزناد فقط ويقتل اي شبح يتحرك، هنا لا يكن الشبان القتل مهتمين بسماع ولوات النساء والعجائز، يقول احدهم، نفسه الذي قال انه حزن مرة واحدة في حياته عندما اغتيل بشير الجميل ان «من صفة النساء اللولة» مما يعني انها عندما كانت تخرج لرجائهم كانت اول من تقتل. القتل لم يكن يهيمهم وهم يحومون في الفضاء الكبير الذي صممه لهم القتل الكبار كساحة لتفريغ «زعلهم» على الفلسطينيين كيف كانوا يعيشون، لا ماء ولا كهرايا ومع ذلك وبعد الجزرة الكبيرة للفلسطينيين فتحو املا ووجدوا فيه ماء باردا ويسكويتا واشياء اخرى تناولوها، هكذا يستريح «المقاتلون»، لماذا يقوم جزار بقتل الفلسطينيين بالسكين بدلا من رميهم بالرصاص، لماذا يغتصب احدهم فتاة مسكية رجت احد القتل بعد قتلها، بل يقتلها وهي العذراء بعد ان اخذ بكارتها، طبعا الوصف الذي يقدمه رجل الميليشيا القاتل مقرز وصادم للوعي الانساني، نشعر اننا نشاهد حفنة من المجرمين من العالم السفلي، حفنة لا قيمة للحياة لها، حفنة ربما ما زالوا مخدرين ويعيشون خدر الايام الماضية، وليست لديهم الرغبة بالاعتذار او الندم، ربما كان هدف معدي الفيلم هو اظهار الجانب الآخر من التعاون يكشف الفيلم الكثير عن التعاون الاسرائيلي-الكثافي من خلال ارسال عدد من مقاتلي الميليشيات للتدريب في اسرائيل، وحمل هؤلاء المقاتلين شارات وقبعات وزي الجيش الاسرائيلي والاحتفاظ بها لان يعني اعجاب وانتشار اخبار هذا التعاون بين المقاتلين التابعين للكتائب، صور الفيلم قائمة، الاضراء فيها محدودة نشعر احيانا ان بعض المشاركين ربما كانوا يتحركون عراة في غرفهم، ونشعر بتوترهم امام الكاميرا، يحركون ارجلهم كثيرا، يصغون على اكوام القهوة او كاس البيرة، يخرطون على اوراق رسوما لا معنى لها، يبلعون ريقهم.

وقدم المخرجون صورة عن رجال يعيشون في عالمهم النفسي المتقلب، او يعيشون في «مسلك» يحومون فيه بجونهم. لا نعترف هوياتهم ولكنهم وخلال 90 دقيقة لا يحاولون اخفاء اي تفصيل من اللفظ التي ارتكبوها ضد الفلسطينيين، بل الاعتراف بما فعلوه. كل لقطة في الفيلم تصدم حس المشاهد، تصيبه بالغثيان، تجعله يتساءل ان كان الذي يتحدث بشرا ام حيوانا، وحتى عندما يحاول القتل الكشفي عن جانبهم الانساني، نقف على نفسيات عجيبة، فاحدهم اخذ معه من المخيم صورة عائلة فلسطينية كاملة ماتت متشابكة الايدي، واخر حزن لرؤية الخيول المقتولة، هذه لحظات كما يقولون لم تتعد الثواني، فهم كانوا في مهمة، ومن هنا كانوا يتحركون

في اللقطة الاخيرة لفيلم «massaker» (مذبحة) يقدم لنا احد اعضاء الميليشيات التي قامت الهجوم على صبرا وشاتيلا في 16-18 ايلول (سبتمبر) 1982 وصفا تقشعر له الابدان وصف لا يصدر الا من شخص مريض، مهووس، لا ضمير له وهذا ما يوصف به، مع اني عاجز عن العثور على اوصاف شديدة، المهم ان رجل الميليشيات اللبناني، وصف لنا كيف قتل فلسطينيا في صبرا وحز بطنه، لان الفيلسوف القاتل، وهذه ميزة تسم كل مميزات القتل في الفيلم، يريد ان يأخذ الفلسطيني العذاب معه الى القبر، وضعه امام الجدار وحز بطنه واخذ يصف كيف ثعب الدم من جسد الفلسطيني الذي كان يريد ان يقتله، فهو يريد الحياة ليربي ابناءه، القاتل هنا كان يتهم على لهجة الفلسطيني وعاقبه بقلته بهذه الميثة الشنيعة، يقول ان الرصاصة تعتبر قتل رجيا اما الحز والحز فهو بمثابة قتل حتى في لحظة الانتقام، «ماساكر» الذي اخرجته مونكا بورغمان، ولقمان سليم وهيرمان نيزين (2005) كان فيلم الافتتاح في مهرجان الفيلم الفلسطيني في لندن الذي افتتح في مركز باربيكان المعروف، برعاية المركز والروائية اهداف سوف، وهو فيلم قائم، صادم للسر والعقل، مجموعة من المجائين القتل تجوع على مساحة الفيلم تتحرك في غرف مظلمة، وهو مظلم وقاس في صورته وشهادته ستة قتل شاركو في الهجوم على صبرا وشاتيلا، مع اننا لا نرى عمليات قتل او عنف، بل حديث وكبريات، والستة يتنمون الى القوات اللبنانية والفرق الخاصة مثل الصدمة التي اسبها بشير الجميل، وايلى حبيبة، وبشير مشعلاني من القوات اللبنانية التي نسقت مع القوات الاسرائيلية التي حاصرت المخيم.

والجديد في رواية الفيلم انه يتحدث حسب القتل عن مشاركة اسرائيلية في التحضير للمعملة منذ البداية فقد «كروا بكل شيء»، وحضروا الكيان القديمة الاستراتيجية لرب الجثث (احتفظوا بها فقد تحتاجون اليها) هكذا قال مسؤول اسرائيلي، بالاضافة لتوفيرهم للجرافات، المواد الكيميائية لانعام عمليا «التنظيف»، المخرجون احتسوا في وضع السلة في خلفية قاعة لان مجرد مشاهدة وجوههم كانت كافية لاثارة القرف في نفس المشاهد، حتى حس الكوميديا في رواية بعضهم لم تكن قادرة على اشغال اهتمام المشاهدين الذي احتشدوا في قاعة السينما، كانوا يتحدثون عن جريمة ارتكبوها قبل عشرين عاما جريمة لا تزال حاضرة في حقول القتل والدمار التي اشعلتها اسرائيل في فلسطين، وامريكا في العراق، ولكن ما يثير هو قدر الفلسطينيين في المخيم وموتهم على يد حفنة من المجرمين، الذين يجمعون في داخلهم بين مكونات جيل الحرب اللبنانية، وصورا عن افلام الغرب الامريكي، عصابات الجريمة، ومتعاطبي المخدرات، ولكن التبرير الجار الذي يظهر من احدهم هو انهم كانوا «علائين» بسبب مقتل بشير الجميل، وكانوا ينفذون اوامر قياداتهم التي اجتمعت مع القادة الاسرائيليين بتنظيف الخميم من كل كائن حي، فالأوامر قتل كل شيء يتحرك، طفل، بنت، امرأة، رجل، عجز او حتى حيوان.

تتحرك الكاميرا في غرف، بين رجال ما زالوا يعيشون في لبنان، على ما يبدو بشكل طبيعي، ويتذكرون ايام الحرب الاهلية «الحمولة» فهي ايام كان الشاب فيها يشتد رجولته بقتل الفلسطينيين، «القفاصة»، يتألمون في الشارع، يتألمون في اي مكان ويحلمون بنادقهم او كلابتيكوفاتهم ويعيشون بدون هموم، يقول احدهم انهم لم يعودوا قادرين على النوم بدون اصوات القنص والقتال والمفجرات، كانت الموسيقى التي تجعلهم ينامون بعمق، القتل غير نادمين على افعالهم ولا اعرف ما المعنى من اعطائهم منبرا لاصابتنا بالعتيان، والحديث عن اعابهم واعمالهم ضد الابرياء الفلسطينيين، ويقدمون لنا فلسفاتهم الريبة وتحليلاتهم التي لا معنى لها، مثل قتل الطفل الفلسطيني يمنعه من النمو ليصبح رجلا ويقتل اللبنانيين، هنا افترض ان كل فلسطيني هو عدو وان الفلسطيني الجيد هو الفلسطيني الميت. لا معنى اذن من اظهار هؤلاء الساديين وهم يفاخرون بجرائهم اذ لم يكونوا قادرين على الاعتراف بخطا الماضي وقضاة، طبعا هناك لحظات يشعر فيها المشاهد ان المجرم/الشاهد ربما كان نادما ولكنه في المشهد التالي يكشف عن وجه بشع آخر عن نفسه، طبعا هؤلاء كانوا نتاجا من

الباحثة العراقية اليهودية ايليا شوخاط التي اختارت العيش في نيويورك بعد ان نشرت كتابا عن صورة العرب اليهود في السينما الاسرائيلية حلل ظاهرة سينما بوركا (البوركا) عن اليهود الزراعي او الشريطين واثار جدلا كبيرا. يمنح الفيلم مساحة لقراءة وضع اليهود الشرقيين في اسرائيل، وهو ما اشار اليه اليساريون الثلاثة عندما قالوا ان اليهودي الشرقي عمل باحتقار وانهم كانوا قد رثوا بالدي دي تي، المظهر عندما وصلوا الى اسرائيل خشية ان يكونوا قد حملوا معهم جرثوم معدية. في اسرائيل صارت صورتهم عربا بعد ان كانوا يهودا في العراق، لكن الفيلم يمنح اكثر من هذا رحلة في حياة بغداد في الاربعينات من القرن الماضي، وتعايش وعلاقات الاديان مع بعضها البعض ونشاط الشيوعيين، ومقاهي العاصمة الميشنة بلاغف والدومينو والبلليارد والبيانات الثورية، بغداد التي عاش فيها هؤلاء لم تعد بغداد فهي اليوم مدينة الحصار الطائفي والقتل والتشريد، ما يثير في لقاء هؤلاء القتل والتشريد، ما اكثر من نصف قرن في اسرائيل ما زالوا يتحدثون بعراقية واضحة، حركاتهم، تعليقاتهم لا تفرقهم عن اي عراقي آخر. رماث غان قرب تل ابيب هي اكبر تجمع لليهود العراقيين، فيلم جيد وكنت اتمنى لو ترك المخرج للمثقفين الثلاثة الحديث افلام فلسطين، وهي مبادرة قامت بها جمعية الطلبة الفلسطينيين في كلية الدراسات الشرقية والافريقية وتهدف لتقديم صورة فلسطين، وثائقيا وروائيا للمشاهد الانكليزي وتوفر عددا من منابر الحوار والمحاضرات وتقوم بجمع المواد البصرية المتعلقة بفلسطين، ويشرف عليها، خالد زيادة، سمر مرقص ونيك دين.

الناقد من اسرة «القدس العربي» افتتح المهرجان في يوم الجمعة 21 نيسان (ابريل) ويختتم اعماله يوم 5 ايار (مايو) 2006، وتعرض الافلام في باربيكان سنتر، وكلية الدراسات الشرقية والافريقية «سواس» للحصول على برنامج المهرجان: يمكن الاتصال بـ

Barbican Box Office
Web: www.barbican.org.uk/film/
Tel: 0845 120 7530
في الاسبوع الثاني من المهرجان سيتم عرض الافلام في «سواس» وهي مجانية ويمكن الحصول على معلومات عن البرنامج من خلال الدخول على موقع المؤسسة:
info@palestinefilm.org
او الاتصال بـ

760 07733235
07724450610

العراق «سمير» الذي يعيش في سويسرا، رحلة في حيوات اربعة عراقيين يهود هاجروا من بغداد بعد انتشاء دولة اسرائيل، عن ذكرياتهم عن بغداد القديمة وعلاقتهم باسرائيل، صدمة الخروج من العراق وصدمة الواقع الجديد والتألف، والتكيف، واستمرار القلق، والشخصيات الاربعة ليست عادية بمعنى انها مثقفة فهم ناشطون سابقون في الحزب الشيوعي العراقي ومعرفة بهم جاءت من خلال والده الشيوعي وبالفريق العراقي الجديد «شبيعي» من الجنوب، وهؤلاء سمير نقاش، سامي ميخائيل، وشعمون بلاص، الثلاثة اكايميون وكتاب وقاصون لهم نتاجهم المعروف والآخر موسى حوري، تحول لناشط محلي وهو الوحيد الذي لا يطرح اسئلة كثيرة عن وضعه الجديد حيث يقول انه في العراق كانت قوميته العراقية والان اليهودية، ويبدو مفتحا ومشرحا نوعا فيما يتعلق بحياته في رماث غان، اما الثلاثة الآخرون فدرجة القلق تتراوح وتبدو اعقد في حالة سمير نقاش الذي يرى ان ظلما حل عليه ولهذا حاول الهرب من اسرائيل في عمر السابعة عشرة، وعاش في ايران والهند، وتركيا، وعاد الى رماث غان، اما بلاص فهو يقول لو كان له الامر لما جاء لاسرائيل وليسافر الى فرنسا، وبالنسبة لميخائيل فهو يقول انه يحمل ثقافتين عربية ويهودية تتعايشان مثل البقلاوة لا السياسة، لا زال يحن لايام بغداد وواصل عمله اليساري عندما دعاه اميل حبيبي للعمل في تحرير جريدة الاتحاد التي كانت تصل الى العراق قبل هجرتهم لاسرائيل، هناك شخصية خامسة، اكتشفت عراقيتها في نيويورك هي

العالم العربي في الربع الاخير من القرن الماضي والذي اغتيل في لندن عام 1987. والمهرجان يطرح الكثير من الثيمات الموضوعات، قضايا المواطنة في اسرائيل «رماد» ريماء العيسى (2001) عن سكان قرية برعم في الجليل، وفكرة الولاء والانتماء في فيلم «تحقيق خاص» لعلا الطبري (2002) عن العودة الى البلد من المنفى واكتشاف آثار الاحتلال «بيت لحم باندوليفيا» (لاريسا صنصور، 2004)، وكذلك فيلم «حس الحاجة» لشادي سرور (2004)، ايليا سليمان في «وقائع اختفاء» (1997) عن السجناء في قراهم ومدنهم وعن آثار الاحتلال اليومية «في نسج العنكبوت» (حننا مصلح، 2004)، عن، صناعة الفيلم، فكرة الوطن والوطنية، تقدم عزة الحسن فيلم «ملوك واتباع: الحفر في الصورة الفلسطينية» (2004)، عن اللاجئين الفلسطينيين في لبنان يشارك فيلما «لا من هون ولا من هون»



لقطة من «بيروت الغربية»